أبو الحسن ابن القطان المغربي
المحدث الناقد

(562 – 628 هـ — 1166 – 1230 م)

بقلم : عبد الهادي الحسيسن

ان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ـ يعد من اعظم العصور المغربية ـ الذي عرف فيه المغرب الازدهار السياسي ، والحضاري، والفكري ، على حد سواء .

في هذا الوقت بالذات ، كان يعيش فيه اكبر الشخصيات الفكرية ، التي افادت الانسانية جمعاء بانتاجها الفكري والحضاري ، امثال : ابن الجد الحافظ (ت 586 هـ) ، وابن زهر الحفيد (ت 595 هـ) ، وابن رشد الفيلسوف (ت 595 هـ) ، وابن مضاء المجتهد النحوي (ت 592 هـ) ، وأحمد النباتي الاشبيلي ، المعروف بتفوقه في الصيدلة والحديث (1) وسواهم كثير .

---

(1) وصفه لسان الدين ابن الخطيب بقوله : بانه عجيبة نوع الانسان في عصره ، وما قبله وما بعده ، في معرفة علم النبات وتمييز العشب وتحليلها ، واثبات أعاينها على اختلاف اطوار منابتها بمشرق او مغرب ، حسا ومشاهدة وتحقيقا ، حجة لا ترد ولا تدفع ، قام على وجود الصنعتين ، لوجود القدر المشترك بينهما ، وهما الحديث والنبات،إذ موادهما الرحلة والتقييد ، وتصحيح الاصول وتحقيق المشكلات اللفظية ، وحفظ الاديان والابدان وغير ذلك . انظر الاحاطة ج 1 ص : 215 ـ 221 ، وانظر معه : عصر المرابطين والموحدين ج 2 ص : 715 لعبد الله عنان .

وفي طليعة هاته الشخصيات العلمية البارزة ، ابن القطان المحدث الناقد الكبير ، الذي هو بدوره كان يعيش في هذا العصر الزاهر (ق.6هـ)، وكان احد علمائه اللامعين ، وقضاته المبرزين الكبار ، للخلافة الموحدية ؛ اذ هو بنفسه ساهم بنصيب كبير في الميدان الحديثي والعلمي .

ويتضح من خلال ما كتب عنه ، ومن خلال مؤلفاته العديدة ، انه كان ذا شخصية ، لها وزنها الثقيل ، ومكانتها المرموقة في الميدانين : العلمي والسياسي ، وسيظهر لنا هذا جليا في هاته الدراسة .

نشأتـــه وحياتـــه :

هو أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الفاسي ، يعرف بابن القطان ، نزيل مدينة مراكش ، ولد بمدينة فاس يوم عيد الاضحى سنة 565 هـ ـ 1166 م ، وبها نشأ وتعلم ، وتوفى بسجلماسة سنة 628 هـ ـ 1230 م .

شيـــوخـــــه :

تلقى ابن القطان العلم اولا عن علماء فاس الكبار وغيرهم ، الواردين عليها ، من شيوخ سبتة والاندلس وافريقيا ، منهم: ابو عبد عبد الله الفخار واكثر عنه ، وابو الحسن النقرآت ولازمه ، وابو عبد الله ابن البقال ، وابو الربيع سليمان الكلاعي الشهيد (2) ، وابن الصيقل التلمساني، احد المدعوين من طرف الخليفة يعقوب المنصور الموحدي الى مراكش العاصمة ، ليسمع بها الحديث النبوي وعلومه (3) ، وابن مضاء ، وابن خـــروف العالمـــان النحويان الشهيران ، ومحمد التجيبي (ت 610 هـ) ، ومحمد بن طاهـــر الصقلي الحسيني ، قاضي الجماعة بمراكش ، وأبو بكر يحيى ن خلف ، نزيل مدينة فاس ، الذي يعد من ائمة الاجتهاد بالمغرب آنذاك (4) ، وقاضي

(2) استشهد رحمه الله سنة 636 هـ في الغزوة التي وقعت بين الاسبان والمسلمين بظاهر « انيسة » قرب مدينة بلنسية ، وقد رثاه تلميذه ابن الابار بقصيدة طويلة ، انظر مظاهر النهضة الحديثية لصاحب البحث ج 2 ص : 123 ـ 130 .

(3) قال عنه ابن القطان صاحب الترجمة : هو عدل امام في الحديث .
« انيسة » قرب مدينة بلنسية ، وقد رثاه تلميذه ابن الابار بقصيدة طويلة ، انظر عنه 599 هـ وهو قاضي بها .

الجماعة بمراكش ، أبو القاسم احمد بن بقي بن مخلد القرطبي ، سمع منه مسند جده وتفسيره ، وواظب على مجالسته ، وسمع منه الشيء الكثير ، من شعره ونثره لنفسه وغيره (5) ، وأبو عبد الله محمد بن المناصف ، صاحب كتاب « الانجاد في احكام الجهاد » وسوى هؤلاء الشيوخ الاجلاء .

ومن العلماء الذين أجازوا ابن القطان ، أبو محمد عبد الحق الاشبيلي صاحب الاحكام الشرعية (ت 582 هـ) (6) وابن حبيش ، وسواهما ، وجل شيوخه ومجيزيه ، ذكرهم وسماهم في برنامجه .

فهؤلاء الاعلام المصابيح ، هم أساتذة ابن القطان الذين تلقى عنهم العلم وتخرج عليهم ، وكيف لا يكون على مستواهم العلمي ، وهم من هم ، دراية وعلمـــــا ؟ .

تـــلامـــذتـــــــه :

ومن تلامذة ابن القطان ، أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض ، وابناه: أبو عبد الله الحسين ، وأبو محمد حسن ، أستاذ ابن عبد الملك المراكشي ، صاحب كتاب الذيل والتكملة ، وابو عبد الله محمد بن يحيى بن خلف (8) وغيرهـــــم .

وكان ابن القطان الى حدود سنة 622 هـ ، يعقد مجالس العلـــم في الحديث وغيرهبمدينة مراكش ، وممن حضر مجلسه العلمي في هذه الفترة،

---

(5) كان أحمد بن بقي اثناء حكمه بين المتخاصمين ، يجلس في موضع بينه وبين الخليفة يعقوب المنصور الموحدي ستر من ألواح ، حتى كان يسمع ترافع المتداعين والمتخاصمين، وحكم القاضي ، توفي سنة 605 هـ ، انظر المعجب للمراكشي ، ص : 409 ـ دار الكتاب 1978 ، والمراقبة العليا للنباهي ، ص : 117 .

(6) انظر برنامج شيوخ الرعيني بتحقيق ابراهيم شبوح ط. دمشق ، 1962 ، ص : 128.

(7) بعث اليه بالاجازة من مدينة بجاية بالجزائر ، حيث اختارها للاستقرار ، وبها توفى ، وكتابه الاحكام الشرعية الوسطى هي التي كتب عليها ابن القطان كتاب : « بيان الوهم والايهام » الذي سياتيالكلام عنـــه .
انظر عن ابن عبد الحق كتاب مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصـــور الموحدي ج 2 ، ص : 70 وما بعدها ، لصاحب البحث .

(8) وتلميذه هذا هو الذي تعقب على كتابه « بيان الوهم والايهام » بكتاب سماه : « المآخذ السامية عن مآخذ الاهمال في شرح ما تضمنه كتاب بين الوهم والايهام » انظر « مظاهر النهضة الحديثية » ج 2 ، ص : 53 لصاحب البحث .

قاضي شاطبة آنذاك ، الذي أشاد بغزارة علمه ، ومعرفتـــه الواسعـــة ، وخصوصا في مادة الحديث وعلومـــه (9) .

مكانتـــه العلميـــة :

درس ابن القطان وحدث كثيرا ، وترأس الهيأة العلمية بمراكش ، اذ كان « مزوارا » للطلبة (10) ولهذا كان محظوظا عند العامة والخاصة مـــن آل دولة عبد المومن الموحدي ، ولقد حظي كثيرا عند خلفائهـــم : يعقوب المنصور الموحدي ، فابنه محمد الناصر ، فولده المستنصـــر ، فعبـــد الواحد بن يوسف اخي المنصور ، ثم أبي زكرياء يحيى المعتصم بن محمد الناصر ، حتى كان رئيس الطاعة ، مصروفه اليه الخطط المهمة ، مرجوعا اليه في الفتاوي الهامة وشؤون الدولة ، لذلك نال بخدمة السلطان دنيـــا عريضـــة (11) .

وقد سعد لدى الخليفة يعقوب المنصور بصفة خاصة ، اذ كان يؤثره على غيره من اهل طبقته ، حتى عينه لقراءة الحديث الذي كان يقـــرأ بين يديه ، لان قراءة ابن القطان للحديث ، كانت تروق يعقوب المنصور ، حيث كان يفصل بين البسملة والتصلية على النبـــي صلى الله عليـــه وسلـــم ، والدعاء للمنصور ، وكانت العادة في قراءة الحديث آنذاك ، بين يدي الخليفة ، الا يفصل بينها وبين الدعاء له ، مما جعل يعقوب ، يستحسن طريقـــة ابن القطان ــ في سرد الحديث ــ التي ابتدعها .

يقول يعقوب المنصور: هكذا ينبغي ان يقرأ الحديث من يقرأه بين أيدينا ، فاصلا بين الدعاء لنا ، والتصلية المتبعة للبسملة ، وبينه وبين حديث النبي

---

(9) انظر الذيل والتكملة قسم الغرباء ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم 3194.د

(10) كلمة « مزوار » كان يحلى بها اكبر عالم زمانه ؛ اذ تفيد رئيس الجماعة والهيـــاة ، وكلمة « طالب » تفيد في العهد الموحدي اعلى رتبة علمية ، لا كما يفهم منهـــا الآن ، كل من يطلب العلم ، وكلمه « حافظ » لهذا العهد الموحدي لم يبق لهـــا المدلـــول المتعارف لدى علماء الحديث وكبار الفقهاء ، وانما اصبحت تطلق على صغار الطلبة ، وعلى المبتدئين منهم في العلم ، انظر « مظاهر النهضة الحديثية » ج 1 ص : 227. لصاحـــب البحـــث .

(11) انظر الذيل والتكملة قسم الغرباء ، لوحة 10 ، مخطـوط الخزآنـــة العامـــة بالرباط تحت رقم 3194 ، د ، ولقد أطال ابن عبد الملك المراكشي في ترجمة ابن القطان ، فهي اطـــول ترجمـــة في هـــذا الكتـــاب .

صلى الله عليه وسلم ، فأما سرد البسملة والتصلية والدعاء لنا ، والحديث في نسق واحد ، من غير فصل مما يخصنا من الدعاء وما قبله ، وما بعده ، فانما نبرأ الى الله منـــه (12) .

ومن أبرز الشخصيات السياسية المهتمة بابن القطان كذلك ، ابو عبد الرحمن محمد بن عمران التنملي ، وزير محمد الناصر ، الذي كان كثيرا ما يعتني به ويعظم جانبه ، حتى انتهت اليه بسبب خدمته اياه ، وعطفه عليه، نحو ثلاثة عشر خططا كلها مفيدة ، وكل واحدة منها انما كان يعين لها اكثر المرتسمين بالعلم قدرا وابعدهم صيتا .

لقد استبحر ابن القطان بصفة خاصة في الحديث وعلومه ونقد رجاله، فهو محدث ناقد بارع ، عارف بعلل الحديث ، وتاريخ رواتـــه ، فكان أول شخصية مغربية ، ركزت الدراسة الحديثية على الاساليب والمناهج المتبعة في الشرق ، مع نوع من الاصالة والجدوة ، ولذا يعد من ابرز الشخصيات العلمية الكبيرة ، ومن اكبر المحدثين المغاربة لهذا العهد المنصور الموحدي .

ورد في تذييل ابي سعيد ، على رسالة الامام ابن حزم الظاهري ، في رسالته « المفاضلـــة » (13) :

واما الحديث فقد كان بعصرنا في المائة السابعة ، الامام ابو الحسن علي ابن القطان ، الساكن بحضرة مراكش ، وله في تفسير غرائبه وفي رجاله مصنفات ، واليه كانت النهاية والاشارة في عصرنا .

وقال ابن مسدى في حقه (14) كان ابن القطان معروفـــا بالحفـــظ والاتقان ، ومن ائمة هذا الشأن ، مراكشي الدار ، وكان شيخ شيوخ اهل العلم في الدولة المومنية ، فتمكن من الكتب وبلغ غاية الامنية .

---

(12) انظر الذيل والتكملة ص : 15 ، قسم الغرباء رقم 3194 د. الخزانة العامة ـ الرباط.
(13) نفح الطيب ج 3 ، ص : 180 ، تحقيق د. احسان عبس . لقد حصل خطا فى رسالة معجم المحدثين والمفسرين للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص : 13 ، اذ جاء فيها : وذكر ابن حزم فى تاليفه فى أهل الاندلس ، ان ابن القطان ، اليه كانت النهاية والاشارة في عصرنا ، وهذا محض خطأ ؛ لان صاحب هذا الكلام ، هو أبو سعيد المذيـل على رسالة « المفاضلة » لابن حزم المعاصر لفترة ابن القطان لا الامام ابن حزم الذي كان يعيش في القرن الرابع والخامس الهجريين (384 ـ 456) .
(14) انظر تذكرة الحفاظ ج 4 ص 1407 .

وقد أقر لابن القطان القاصي والداني ، بعلو كعبه وثاقب ذهنـــه ، وسعة معرفته في الميدان الحديثي .

فابن القطان ، احد حفاظ المغرب في عصره بلا منازع ، والطود الشامخ في الحديث والسنة ، وحامل لوائها في الجناح الغربي من العالم الاسلامي في زمانـــه .

مـؤلفـاتـــه :

لقد صنف ابن القطان العديد من الكتب ، في مختلف انواع العلـم ، التي أتى على ذكر جلها ابن عبد الملك المراكشي في كتابه « الذيــــل والتكملة » (15) ، يقول : وكتب بخطه على ضعفه الكثير ، وعنى بخدمة كتب العلم ، بلغ فيها الغاية ، منها :

— شيوخ الدارقطنـــي ، في مجلـــد .

— كتاب النظر في احكام النظر ، في مجلد ، كان يدرس بمدينـــة سبتة ، من طرف بعض علمائها الاعلام في القرن السابع الهجري (16) .

— تجريد من ذكر الخطيب البغدادي في تاريخـــه من رجـــال الحديث بحكاية او شعر ، في مجلدين .

— كتاب حافل ، جمع فيه الحديث الصحيح ، محذوف السند ، فيه من المسندات والمصنفات ، كمل منه كتاب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة ، في نحو عشر مجلدات .

— مسائل من اصول الفقه ، لم يذكرها الاصوليون في كتبهم ، في مجلـــد .

---

(15) قسم الغرباء مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم 3194 د .

(16) يقول أبو القاسم التجيبي السبتي (هذا الصدد سمعت جميعه كاملا في خمس مجالس ، آخرها من سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، على الحافظ ابي عبد الله محمد بن محمد الكتامي . انظر برنامجه ص : 272 ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، ط. الدار التونسية للكتاب 1981 .

— كتاب في القياس ، لمناضلة من سلك غير المهيع في اثبات القياس .

— كتاب يتعلق بالحديث وعلومه ، اخرجه من كتاب المحلى للامام ابن حزم الظاهري الاندلسي .

— كتاب في انساب الخيل وانسابها واخبارها .

— له برنامج في شيوخه ، ألفه بعد الخمس والعشرين وستمائة .

وله مقالات متعددة ، متنوعة المقاصد ، منها :

— مقالة في الامامة اكبرى .

— مقالة في القراءة خلف الامام .

— مقالة في الوصية للوارث .

— مقالة في منع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث.

— مقالة في الاوزان والمكاييل .

— مقالة في معاملة الكافر ، جمعها للخليفة محمد الناصر الموحدي (ت 610 هـ) صاحب وقعة العقاب ، لما سأله حول السلوك الدبلماسي المناسب عند مقابلة كبار الاجانب ، حين ورد عليه فرناندو الثالث .

سوغ ابن القطان لمحمد الناصر في هاته المقالة ، القيام له ولامثاله عند الاستقبال ، فلم يرض محمد الناصر بها ، ولم يعمل بهاته الفتوى ، وما زال برتكول المغرب الى الآن ، على استقبال الملك المغربي للسفراء ، وهو على حالة الجلوس (17) .

(17) انظر كتاب جامع القرويين ج 1 ، ص : 148 للدكتور عبد الهادي التازي .

وهذه المقالات اوصلها ابن عبد الملك المراكشي في ذيله ، الى اربعة عشرة مقالة (18) .

كتاب بيان الوهم والايهام :

ومن أهم وأعظم تآليف ابن القطان ، وأبعدها أثرا وصيتا ، كتابه: «بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام » لعبد الحق الازدي الاشبيلي (ت سنة 582 هـ) ، وما زال هذا الكتاب مخطوطا ويوجد منه حتى الآن مجلد واحد (19) .

علق به ابن القطان على كتاب الاحكام الوسطى لعبد الحق الاشبيلي ، فصحح اغلاطه وعدل استنتاجاته ، وحلل ذلك في نفس طويل (20) .

---

(18) انظر كتاب الذيلة والتكملة قسم الغرباء ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3194 د .

(19) موجود بقسم المخطوطات بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم 1068 وهو يقع في مجلد ضخم مكتوب بخط مغربي واضح ، وهو من حبس والدة احمد المنصور الذهبي الملك المغربي السعدي (ت 1012 هـ) .

ويقال انه يوجد في نسخة تامة في سفرين ، بدار الكتب المصرية بالقاهرة . وتوجد منه أوراق مختلطة من السفرين : الاول والثاني بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1213 هـ .

وكتاب « بيان الوهم والايهام » هذا استخدمه الاستاذ ابراهيم بن اصديق في أطروحته : « علم العلل في المغرب ، من خلال كتاب بيان الوهم والايهام » ، الواقعين في كتاب الاحكام لابن الحسن ابن القطان الفاسي (ت 628 هـ) منها نسخة مرقونة بدار الحديث الحسنية بالرباط .

ورد في مجلة « دعوة الحق » ع 1 س 18 ص 25 مقال للاستاذ فاروق حمادة ، عن ابن القطان المحدث لمترجمنا وله من تآليف « نظم الجهان » فهو في الواقع ليس « ابن القطان المحدث » : وله من تآليف « نظم الجمان » فهو في الواقع ليس (646 ـ 664 هـ) .

فكلام فاروق حمادة محض خطأ ، ويظهر انه تبع في هذا الخطأ صاحب « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ج 1 ص : 157 ط. 1960 للمرحوم الفقيه عبد السلام بنسودة وكذلك ذهب في هذا الخطأ د. ابراهيم حركات في كتاب « المغرب عبر التاريخ » ص : 381 ، ط. 1 ـ 1965 . وكتاب « نظم الجمان » حققه د. محمود علي مكي،طبع بتطوان ، انظر مقدمته .

(20) انظر البحث القيم للعلامة محمد المنوني : « مخطوطة مغربية فى علوم القرآن والحديث » مجلة دار الحديث الحسنية ع 3 ص : 113 سنة 1982 وانظر معه مظاهره النهضة الحديثية لصاحب البحث ج 2 ص : 99 .

وقدرة ابن القطان الحديثية تظهر في كتابه هذا « بيان الوهم والايهام» الذي وصل الينا من تراثه ، ولولا هذا الكتـــاب ، لما عرفنـــا مكانتـــه الحديثيـــة والعلميـــة .

ومعلوم ان عبد الحق الاشبيلي ، له الاحكام الشرعيـــة ، الصغرى ، والوسطى، والكبرى (21) ، وأي هاته الاحكام منها ، كتب عليها الحافظ،ابن القطان كتابه « بيان الوهم والايهام » ؟

لقد اختلف الباحثون في تحديد ماهية الاحكام التي علق عليها ابـن القطان ، وهو نفسه لم يبين لنا ايا منها تصدى للكتابة عنها . ومما ورد في مقدمة الكتاب(22): « فان أبا محمدا عبد الحق الازدي الاشبيلي ، رحمة الله عليه ، قد خلد في كتابه الذي جمع فيه أحاديث أحكام افعال المكلفين علما نافعا ، وأدبا قائما » . غير ان الحافظ الذهبي (ت 748 هـ) يصـــرح بأن ابن القطان كتب على « الاحكام الكبرى » .

يقول الذهبي (23) : « لقد طالعت كتابه المسمى « بالوهم والايهام » الذي وضعه على كتاب الاحكام الكبرى لعبد الحق ، الذي يدل على حفظه ، وقدرة فهمه ، لكنه تعنت في أحوال الرجال ، فما انصف » .

تبع الذهبي على هذا الرأي ، المحدث محمد بن بن جعفر الكتاني الفاسي، في رسالته المستطرفة يقول (24) : « وقد وضع على كتـــاب الاحكـــام الشرعية الكبرى ، لابي محمد عبد الحق الازدي ، الحافظ الناقـــد ابن القطان ، كتابه المسمى : « بيان الوهم والايهام ، الواقعيـــن في كتـــاب الاحكام » ، كما ان ابن عبد الملك المراكشي ، يصرح في « ذيله » بالاحكام الكبـــرى » (25) .

---

(21) وللاطلاع عليها ينظر كتاب « مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي ج 2 ص : 74 – 76 .

(22) بيان الوهم والايهام مخطوط خزانة القرويين رقم 1068 .

(23) تذكـــــرة الحفــــاظ ج 4 ص : 1407 .

(24) ص : 178 ، ط. دمشق، انظر معه « الاعلام » للمراكشي ، ج 3 ص : 141 ط فاس.

(25) قسم الغرباء ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : 3194 .

أما ابن الزبير في كتابه « صلة الصلة » (26) فلم يبين لنا كذلك ، أي كتاب من الاحكام ، عقب عليه ابن القطان ، وانما اكتفى بقوله : « ألف ابن القطان كتابه المعروف : « بالوهم والايهام ، الواقعين على كتاب الاحكام » لابي محمد عبد الحق الاشبيلي ، وهو من اجل التواليف في بابه ، وان كان لا يخلو عن بعض تحامل وتعسف » .

والاستاذ ابراهيم ابن الصديق ذهب في رسالته (27) : ان كتاب « بيان الوهم والايهام » وضعه صاحبه ابن القطان على الاحكام الصغرى ، لا على الكبرى ، يقول : « والذي يؤخذ من تنايا الكتاب ، ومن مناقشته لعبد الحق ، ان الكتاب وضع لبيان اوهام الاحكام الصغرى لا الكبرى : لان الكبرى ساق فيها الاحاديث بأسانيدها ، فجاء حجما كبيرا » .

وورد في أول ورقة من كتاب « بيان الوهم والايهام » لبعض الملقين (28) ما يلي : « فلعبد الحق أحكام كبرى ، وأحكام وسطى ، وهي التي ألف ابن القطان عليها ، وصغرى » .

وجاء في تعليق : الاحكام الشرعية الموجوده بالخزانة الملكية (29) : « واعلم ان لعبد الحق ، الاحكام الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، فالصغرى لا يذكر فيها علة الحديث ، ولا ينبه على ضعفه وما فيها من الصحيح اكثر ، وقد من الله تعالى علي بنسخة عتيقة ، وهذه هي الاحكام الوسطى » .

وورد في كتاب « الفكر السامي للحجوي » (30) : « وقد ظفرت بنحو من اول احكام عبد الحق الاشبيلي واظنها الوسطى ، ذكر كاتبها انها كملت سنة 737 هـ ، والنصف الآخر ، لعله في الخزانة الخديوية بمصر ، وعثرت على بعض اجزاء الصغرى في مكتبة مراكش » (31) .

---

(26) ص : 131 ع : 208 .

(27) الجرح والتعديل في المدرسة المغربية ص52 . منها نسخة مرقونة بدار الحديث الحسنية بالرباط . لقد رجع ابن الصديق عن هذا الرأي ، واصبح يقول : « الاحكام » التي كتب عليها ابن القطان ، هي الوسطى لا الكبرى ، ولا الصغرى ، انظر اطروحته « علم العلل في المغرب من خلال كتابي بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام » لابي الحسن ابن القطان الفاسي . منها نسخة مرقونة بدار الحديث الحسنية .

(28) مخطوط خزانة القرويين بفاس رقم : 1068 .

(29) رقم : 235 في حجم كبير ، وهناك نسختان تحت رقم : 5380 — 5682 .

(30) ج 4 ص : 61 ط . الاولى .

(31) وهي اجزاء أربعة ، وهي الآن مصورة بالخزانة الملكية بالرباط .

وجاء في كلام أبي القاسم التجيبي (32) عن كتاب « بيان الوهم والايهام » : « وهذا الكتاب موضوع على النسخة الوسطى من الاحكام ، تأليف ابي محمد عبد الحق الازدي » .

لم يبق لنا مجال لاى افتراض امام هاته النصوص ، على ان ابن القطان ، وضع كتابه : « بيان الوهم والايهام » على الاحكام الوسطى لعبد الحق الازدي الاشبيلي ، لا على الكبرى ، ولا على الصغرى .

وعلى كل حال ، فابن القطان ، تتبع في كتابه « بيان الوهم والايهام » كتاب الاحكام الشرعية لعبد الحق الاشبيلي ، فبين اوهامه واخطاءه التي صدرت عنه ، وتكلم على كثير من الاحاديث للرواة وبين صحيحها من ضعيفها ، كما تعرض للرواة جرحا وتعديلا ، مختطا في ذلك منهجا اصيلا لم يسبقه احد من المحدثين المغاربة في هذا الشأن ، فهو اول من نهج هذا النهج الحديثي في المغرب ، فانتشر كتابه هذا ، بين العلماء غربا وشرقا ، فاستحسنوه وتلقوه بالقبول ، واعتمدوا الكثير من اجتهاداته وآرائه في الكلام على الاحاديث ورجاله ، فأصبحت تنقل منه النقول في كتب الاعلام ، فاذا ورد ، قال الحافظ ابن القطان الفاسي ، انصرف الى كتابه « بيان الوهم والايهام » .

تنويه ابي القطان لكتابه « بيان الوهم والايهام » :

وابن القطان نفسه يشيد بكتابه هذا ، ويعدد مزاياه ، يقول عنه (33): « وقد يظن ظان ان كتابنا هذا ، مقصور الافادة على من له بكتاب أبي محمد عبد الحق اعتناء ، فذلك الذي يستفيد منه اصلاح سند ، او تنبيها على مغفل ، هذا الظن ممن يظنه خطأ،بل لو كان كتابنا قائما بنفسه ، غير مشير الى كتاب ابي محمد المذكور ، كان ما فيه من التبيين على نكت حديثية ، جلت عنها وعن امثالها الكتب ، وتعريف برجال يعز وجودهم ، ويتعذر الوقوف على المواضيع التي استفدنا احوالهم منها ، وأحاديث افدنا فوائد

(32) انظر برنامجه ص : 152 تحقيق عبد الحفيظ منصور ط. الدار العربية 1981 .
(33) بين الوهم والايهام المقدمة ج 1 ص : 5 مخطوط خزانة القرويين رقم : 1068 ، أتيت بهذا الكلام على طوله لنرى ما يقوله ابن القطان عن كتابه هذا .

في متونها واسانيدها ، وعلل نبهنا عليها ، واصول اشرنا اليها ، افيد كتاب واعظم ثمرة تجتنى .

ومن له بهذا الشأن اعتناء يعرف صحة ما قلت ، وقد يكون ممن لم يسبق اليه في الصناعة الحديثية وترتيب النظر فيها المستفاد بطول البحث ، وكثرة المباحثة والمناظرة والمفاوضة وشدة الاعتناء ، ووجود الكتب المتعذر وجودها على غيرنا ، مما يسر الانعام به من الله سبحانه علينا له الحمد والشكر .

فليس في كتاب ابي محمد عبد الحق ، حديث الا وقد وقفت عليه في الموضع الذي نقل منه ، بل وفي مواضيع لم يدرها قط ، بل لعله ما سمع بها .. » .

منهجية ابن القطان في كتابه : « بيان الوهم والايهام » :

ولابن القطان آراء معتبرة في الرجال ، وطريقة خاصة في الجرح والتعديل ، وان كانت لا تخلو من انتقاد (34) .

قسم ابن القطان كتابه « بيان الوهم والايهام » الى قسمين (35) :

القسم الاول : بيان اوهام عبد الحق في النقل ، ويشمل ابوابا مثل : باب نسبة الاحاديث الى غير رواتها ، باب ذكر الاحاديث بورودها من موضع عن راو ، ثم يرد فيها زيادات او حديثا من موضع آخر ، موهما انها عن ذلك الراوي ، او بذلك الاسناد ، او في تلك القصة ، او في ذلك الموضع وليس كذلك .

باب ذكر احاديث اوردها ، ولم اجد لها ذكرا ، او عزاها الى مواضيع ليست هي فيها .

---

(34) كتب بعض الانتقادات ، الشيخ عبد الحي اللكنوي الهندي في كتابه « الرفع والتكميل» ص : 100 ط. حلب الاول ، انظره .

(35) أنظر مقدمة « بيان الوهم والايهام » ، مخطوط خزانة القرويين رقم : 1068 .

القسم الثاني : بيان ايهامه في النظر ، أي الاستدراك عليه في التصحيح والتضعيف ، والجرح والتعديل ، ويشمل ابوابا مثل : ذكر أحاديث أوردها على انها متصلة ، وهي منقطعة ، او مشكوك في اتصالها ، ذكر احاديث اوردها على انها مرسلة لا عيب فيها سوى الارسال ، وهي معتلة بغيره، ولم يبين ذلك ، ذكر أحاديث أعلها برجال ، وفيها من هو مثلهم، او اضعف ، او مجهول لا يعرف ، ذكر أمورا مهمة ، من احوال رجال يجب اعتبارها ، فأغفل ذلك او تناقض فيه ، ذكر رجالا لم يعرفهم وهم ثقاة او ضعاف ، او مختلف فيهم ، ذكر رجالا ضعفهم لا يستحقون التضعيف ، الى غير ذلك من الانتقادات التي ذكرها في مقدمة كتابه : « بيان الوهم والايهام » .

بعض النماذج من كتاب ابن القطان (36) :

ان ابن القطان « هنا » ، يعقب على عبد الحق الاشبيلي ، في باب ذكر احاديث اوردها على انها مرفوعة ، وهي موقوفة او مشكوك في رفعها.

يقول : من ذلك انه ذكر عبد الحق الاشبيلي ، عن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا مهر دون خمسة دراهيم ، ساقه من طريق الدارقطني ، قال : ولا يصح ، وهذا لا وجود له عند الدارقطني هكذا، وانما هو عنده عن علي من قوله ، ولا يصح كما ذكر ، فانه من رواية الحسن ابن يزيد بن دينار ، عن عبد الله الداناج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن علي .

والحسن بن دينار كذاب ، وقد جهدت ان اجده في نسخة من كتاب الدارقطني كما ذكر ، استظهارا على باقي كتابي ، وكتاب ابي علي الصدفي فلم أجده ، وانما خطاؤه فيه ، ان كثيرا ما يقع هكذا ، عن علي عليه السلام ، فظنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والقاء نظرة على هاته النماذج من أبواب كتاب « بيان الوهم والايهام »، تعطي فكرة واضحة عن غزارة مادة هذا الكتاب في علم الحديث ، وعلله

(36) من أوراق مختلطة من « بيان الوهم والايهام » من السفرين : الاول ، والثاني ، يصل مجموعها 156 ورقة من الحجم الكبير ، منها صالح يقرأ ، ومنها لا يقرأ لتلاشيه، وهي موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 1213 .

ورجاله ، بحيث لا تقتصر فائدته على تتبع أوهام واخطـــاء عبد الحـــق الاشبيلي ، بل تعم فائدته ايضا علماء الحديث ، كما صرح بذلك ابن القطان نفسه في اعتزاز كبير ، بما وصل اليه في هذا المجال الحديثي كما تقدم .

وابن القطان يجتهد شأن علماء الاجتهاد ، سواء في احكام الفقه ، او نقد الرجال ، او تتبع الاحاديث في حسنها وضعفها ، لا يقلد احـــدا في تصحيح ولا تضعيف ، فهو ينظر في الاسانيد ورجالها ، ويصدر احكاما وفق معطياتهـــا .

يقول ابن القطان في كتابه (37) : والى هذا ، فلو كان تصحيحا مـــن ابي حاتم لوجب مع ذلك من النظر اسناده ، بل يجب مع تصحيح البخاري، او مسلم ، او الترمذي ، او غيرهم ، فانما الرواية ، لا الرأي في مسائـــل الاجتهـــاد .

« بيان الوهم والايهام » في الميزان :

وكتاب « بيان الوهم والايهام » ، هو شأنه كشأن باقي الكتب العلمية الاخرى ، وقع فيه لمؤلفه ابن القطان بعض الاخطاء ، والاخطاء لا يسلم منها احد كيفما كان شأنه ، وكيفما كانت منزلته العلمية .

وهاته الاخطاء لا تنقص من قيمة الكتاب ، ومن مكانة صاحبه ، فقد افادنا من نكات دقيقة في قواعد علم الحديث وفي مصطلحه ، فريدة مـــن نوعها ، وكشف عن اسماء رواة مبهمين ، وبين احاديث اضطرب في شأنها علماء هذا الشأن ، وتعرض لمسائل مهمة وجليلة ، يحتاج اليها علماء هـــذا الشأن والباحثـــون .

ولمكانة هذا الكتاب : « بيان الوهم والايهام » ، تعقبه عدد من العلماء، منهم المغاربة والمشارقـــة .

فمن المغاربة : محمد بن يحيى بن خلف ، تلميذ ابن القطان المحدث الناقد (ت 642 هـ) ، في كتاب سماه : « المآخذ الحفال السامية ، عـــن

(37) « بيان الوهم والايهام » مخطوط خزانة القرويين بفاس تحت رقم : 1068 ط. 172 .

مآخذ الاهمال ، فى شرح ما تضمنه كتاب « بيان الوهم والايهام » من الاخلال والاغفال ، وما انضاف اليه من تتميم واكمال » .

تبين من تتبع ابن المواق لكتاب « بيان الوهم والايهام » ، ادراكه ونبله ، وموقفه بصناعة ، الحديث ، واستقلاله بعلومه ، واشرافه على علله واطرافه وتيقظه » (38) .

يقول ابن المواق عن كتابه هذا (39) : « وقد عنيت بالجمع بين هذين الكتابين : « الاحكام الشرعية لعبد الحق الاشبيلي » و « بيان الوهم والايهام » لشيخنا ابن القطان ، مضافين الى سائر أحاديث الاحكام ، وعلى ترتيبها وتكميلما نقص منها ، فصار كتابي هذا ، من أنفع المصنفات واغزرها فائدة ، حتى لو قلت أن لم يؤلف في بابه مثله لم **ابعد** » .

ويقول الشيخ القصار (40) : « ظهر في تعقب ابن المواق ، براعة نقده ، الا انه بقي كتابه في نقص ؛ اذ مات قبل ان يتمه ، ثم اتمه أبو عبد الله محمد بن رشيد المحدث السبتي (ت 721 هـ) بكتاب سماه : « بغية النقاد النقلة ، فيما أخل به كتاب البيان وأغفله ، أو ألم به فما تممه ولا أكمله » .

عمل ابن رشد على تكميل تخريجه وتنقيحه ، مع زيادات وتتمات ، وهو يقع في جزأين (41) .

وقد حاول اخراج كتاب ابن المواق وجمعه كذلك ، في مؤلف حافل ، ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ) ، صاحب كتاب «الذيل والتكملة» ، كما ورد في كلام محمد العبدري الحاحي ، صاحب « الرحلة » ، لدى حديثه مع العالم الكبير المصري ابن دقيق العيد (ت 702 هـ) في القاهرة .

يقول الحاحي (42) : « وفي أول ما رأيت ابن دقيق العيد ، قال لي :

---

(38) أنظر الرسالة المستطرفة ص : 178 ط. دمشق .

(39) الاعلام للمراكشي ج 5 ص : 232 المطبعة الملكية ارباط .

(40) الرسالة المستطرفة ص : 178 .

(41) يوجد الجزء الاول بمكتبة الاسكريال باسبانيا ، تحت رقم : 1749 ، يقع في 130 لوحة ، اما الجزء الثاني يعتبر الى الآن مفقود .

(42) الاعلام للمراكشي ج 4 ص : 309 و 335 ط. الملكية .

أما عندكم بمراكش ، رجل فاضل ، يدعى أبا الحسن ابن القطان ، صاحب كتاب « بيان الوهم والايهام » فأثنى على الكتاب ، ثم ذكرت له رد تلميذه ابن المواق عليه ، وانه تركه في مسودته ، فعاني اخراجه صاحبنا الفقيه الاديب أبو عبد الله ابن عبد الملك المراكشي ، الذي عرفته به ، وما حضر لي من تحليته وتآليفه ، ومن جملتها : « الذيل والتكملة على كتاب الصلة » لابن بشكوال ، فعجب من ذلك وكتب ما أمليته عليه منه .

ومن اعلام المشرق الذين تعقبوا كتاب « بيان الوهم والايهام » الحافظ الذهبي في مجلد (43) ، ولقد مر الكلام عنه .

قال ابن ناصر الدين (44) : ولابن القطان في كتابه وهم كثير ، نبه عليه أبو عبد الله الذهبي في مصنف كبير .

وهذا المصنف اختصره بدوره الشيخ محمد بن عبد الله بن مصطفى بن المنجا الحنبلي ، فاستخرج من مختصر الحافظ الذهبي ، ردوده على ابن القطان ، بدون تطويل وتفريع .

أتى الاستاذ فاروق حمادة ، الاحاديث التي تعقبها واستدركها الحافظ الذهبي على ابن القطان ، وعدد هاته الاحاديث ، تصل الى تسعين حديثا (45) .

فكتب رجال الحديث ، مليئة بالنقل عن كتاب « بيان الوهم والايهام » لابن القطان ، وقد جرد منه الحافظ العراقي ، صاحب الالفية في مصطلح الحديث ، ما يتعلق بالرجال والجرح والتعديل في كتاب سماه : « ترتيب من له ذكر أو ترجيح او تعديل في بيان الوهم والايهام » لابن القطان (46) .

---

(43) انظر تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1407 .

(44) انظر مجلة « دعوة الحق » ع : 1 س : 18 ص : 65 ــ 73 سنة 1977 وعدد 5 س18 ص : 98 ــ 114 . ط. وزارة الاوقاف ــ الرباط .

(45) انظر مجلة « دعوة الحق » ع : 1 ، س : 18 ، ص : 65 ــ 78 ، وعدد : 5 ، س : 18 ، ص : 98 ــ 114 .

(46) انظر « رسالة التعديل والتجريح في المدرسة المغربية للحديث » ص : 5 ، منها نسخة مرقونة بدار الحديث الحسنية . لابراهيم ابن الصديق .

اخذ الحافظ الزيلعي (ت 762 هـ) من كتاب « بيان الوهم والايهام » واودعه في كتابه القيم « نصب الراية في تخريج احاديث الهدايـــة » الذي اختصره الحافظ ابن حجر في كتابه « الدراية » (47) .

وكتاب « بيان الوهم والايهام » كان يدرس بمدينة سبتة ، مـــن طرف مشايخها الاعلام ، في القرن السابع الهجري ، وممن تلقى هذا الكتاب هناك ابو القاسم التجيبي ، على الشيخ الحسيني السبتي (48) .

هذا هو ابن القطان المحدث الكبير الناقد ، حافظ المغرب ، صاحب كتاب « بيان الوهم والايهام » والكتب الاخرى الحديثية وغيرها ، الـــذي نشر الحديث وغيره من باقي العلوم الاخرى في بلاد المغرب في العهـــد المنصوري الموحدي وما بعـــده .

ولو قدر لهذا الكتاب « بيان الوهم والايهام » ان يطبع كامـــلا ، لكان عملا عظيما ، وخدمة جلى ، تسدي للدراسات الحديثية بوجـــه خـــاص ، وللدراسات الاسلامية بوجه عام ، وهذا ما نتمناه .

نهايـــة ابن القطـــان :

لم يبق ابن القطان ، مع حياته العلمية ، كما كان من قبل ، في عهـد الخليفة يعقوب المنصور الموحدي الرجل القوي .

فبعد موت يعقوب هذا ، سنة 595 هـ اصبح ابن القطان ، يدلـــي بدلوه في ميدان السياسة ، فاندفع في طريقها ، وصار يخوض غمارها مع الخائضين ، فتلبس بآثامها وشرورها ، شأن المغامرين المندفعيـــن ؛ لان وظيفته تجعله ان يخوض في السياسة مع الخائضين ، حيث كان يتصدى رئاسة « طلبة » الحضر بمراكش العاصمة ، وكان يشغل منصب قاضـــي الجماعـــة للموحديـــن .

---

(47) « دعـوة الحـق » عدد : 1 ، س : 18 ، ص : 66 .
(48) انظر برنامج التجيبي ص : 151 ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، ط. 1981 .

تستوقف نظرنا تلك العبارة ، التي اوردها جل الذين تكلموا عن ابن القطان من المؤرخين (49) : ان ابن القطان امتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب اول سنة 621 هـ فخرج من مراكش وعاد اليها واضطرب امره،الى ان توفي بسجلماسة من علة البطن ، وهو متول قضاءها سنة 628 هـ — 1230 م .

فنحن نعلم ان « الطلبة » آنذاك كانوا اهم عماد الدعوة الموحديـــة والمبشرين بمبادئها والداعين لها .

ومن هذا نرى ان ابن القطان ، كان ، من اكبر دعاة الموحدين ، وأبرز رجالات دولتهم ، فهو رئيس طلبتهم ، وقاضي مـن قضاتهـم الكبـــار ، وسارد للحديث النبوي لاكبر خلفائهم ، يعقوب المنصور الموحدي .

اذا فما هي الفتنة ، وكيف كانت ملابساتها ، وأي شرر اصـــاب ابن القطان ، منها ؟ .

الواقع ان سنة 621 هـ — 1224 م ، كانت فاتحة تصـــدع للدولـــة الموحدية ، وذلك من تآمر أعدائها عليها في الداخل والخارج .

لما توفي الخليفة يوسف المستنصر بن الناصر سنـــة (620 هـ — 1223 م) ترشح للخلافة من طرف شيوخ الموحدين ، ابـــو محمد عبـــد الواحـــد بـــن يـــوسف ، وعبـــد اللـــه العـــادل بـــن يعقـــــوب المنصور ، فعندما تشاور أهل الحل والعقد ، ومنهم العالم ابن القطـــان ، قدموا عبد الواحد على العادل .

لم تطل مدة عبد الواحد في الخلافة حتى قتل صبرا ، وهو اول من قتل غدرا من بني عبد المومن (50) ثم بويع العادل سنة 631 هـ — 1224 م، وقدم من مرسية الى مراكش العاصمة وتلك المعارضة من ابن القطـــان

---

(49) انظر التكملة لكتاب الصلة ، ص : 686 م . 1920 ، وشجرة النور الزكية ص:750ع 456 . ومقدمة نظم الجمان لابن القطان ، تحقيق : د. محمود علي مكي ، والاعـــلام للمـــراكشي ج 10 ، ص : 9 ، وما بعدها ، مصـــور بمكتـــب التعريـــب والتنسيـــق بالربـــاط .

(50) الذيل والتكملة ، قسم الغرباء ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 3194 .

نحو الخليفة العادل ، هي التي سببت ايحاشه عليه ؛ اذ هم بالقبض عليه والايقاع به ، لولا ان رعى العادل انقطاعه لخدمة والده وأسرته ، فكف عنه وصرفه عن المجيء لقصر الخلافة والدخول اليه ، الا لمكان العلماء . « بيت الطالبة » .

وهذا التصرف من العادل ، جعل ابن القطان يخشاه ويقلقه ويزيده استحاشا منه .

هذه هي الفتنة التي امتحن فيها ابن القطان ، منذ سنة 621 هـ ، فقد كان من رجالات الدعوة الموحدية البارزين ، وكان من الطبيعي ان يلقى من أنواع الاضطهاد الشيء الكثير ، على يد الخليفة العادل ، ثم من أخيه المامون (51) فيما بعد ، لميوله عنهما .

ولعل هذا ، هو ما أدى بابن القطان الى مغادرته مراكش ، صحبة يحيى المعتصم بن محمد الناصر الى سجلماسة ، الذي بويع هو بدوره من طرف جماعة من الموحدين .

وسجلماسة (52) كانت في ذلك الوقت ، وكرا للثورة التي اعلنها يحيى المعتصم ومؤيدوه ، على عمه المأمون .

وابن القطان كان في هذا الوقت ، مقربا ليحيى المعتصم الموحدي ، بحكم معارضة كليهما للمأمون وخصومتهما له ، وهذا يفسر لنا توليته لمنصب القضاء بمدينة سجلماسة ، في ظل يحيى المعتصم الى وفاته .

وتتراكم المصائب الواحدة تلو الاخرى على ابن القطان فيحدث له أثناء دروسه العلمية زمن الخليفة عبد الله العادل ، خصمه اللدود ، ان

---

(51) هو ادريس المأمون بن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي الذي استمر في الحكم من سنة : 626 ـ 630 هـ والمأمون هذا ، هو الذي امر بذم المهدي ابن تومرت ونبذ مذهبه ، وأمر بزوال اسمه من السكة الموحدية ومن الخطبة وغيرها ، وكتب بذلك مرسوما ، وبعث به الى المدن المغربية الكبرى يقرأ على منابرها ، انظر كتاب « مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي » ج 1 ، ص : 171 ـ 172 .

(52) سجلماسة ، تقع في جنوب المغرب ، بناها ابو القاسم سمكو المدراري المكناسي الخارجي الصفري سنة 140 هـ واتخذها عاصمة للدولة الصفرية المغربية التي بقيت الى سنة 297 هـ ، حيث قضى عليها الفاطميون .

جادله بعض الحاضرين من الطاعنين عليه ، في مسألة تتعلـــق بالنبـــوة ، فأخذ عليه انه يعني القول باكتساب النبوات ، فهاجمـــوا ابن القطـــان ، وتألبوا عليه وكتبوا به رسمين : الاول يتعلق بشهادة الشهود بمقالته تلك المزعومة ، والثاني يتعلق بفتاوي اهل العلم في قائل مثل هاته المقالة .

اجمع المتأليون على ابن القطان ، انه لا يتم لهم الفـــرض من هذه المؤامرة ، الا بفتوى أبي الحجاج يوسف المكلاتـــي ، العالـــم الكبيـــر (ت 626 هـ) (53) ظانين انه لخصومته معه ، ولمكانته من رجال الحكـــم سيجدونها فرصة سانحة للنيل من ابن القطان ليقتل ، او على الاقل ، تناله من العادل الموحدي عقوبة شديدة .

بادر المكلاتي العالم الفاضل لتمزيق الوثيقة المقدمة اليه ، ونهر الساعين بها اليه ، ووبخهم على فعلهم الشنيع ، سافرا عن سخطه اياهم،بقوله (54):

ياسيء النظر الى اجل شيوخكم ، واشهر علمائكم ، وقد علمتم صيته في الآفاق ، فانه رجل استنفذ طول عمره في خدمة السنة وعلوم الشريعة، حتى صار من ائمتها في ميدان المعرفة . . . ثم قال لهم : اذهبوا خيب الله سعيكم ، وأراح المسلمين منكم » فانقلبوا خاسرين ، متعجبين من موقف خصمه العالم المكلاتي ، المعترف عن جدارة بمكانة ابن القطان العلميـــة الكبيـــــرة .

سكن قلق أبو الحسن ابن القطان ، ودفع الله بفضل أبي الحجـــاج المكلاتي ، ما كان يتوقعه من سوء المؤامرة ، التي دبرهـــا له اعـــداؤه ، فحفظه الله من كيدهم ، وردهم على اعقابهم خاسرين .

وهذه الحالة ان دلت على شيء ، فانما تدل على السمعـــة العلميـــة الواسعة ، التي كان يتمتع بها ويحظى بها ابن القطان ، داخـــل المغـــرب

---

(53) وهو صاحب كتاب : « لباب العقول ، في الرد على الفلاسفة في علم الاصول » حققه أخيرا : د. فوقية حسن محمود ، طبع 1977 م . والمكلاتي احد العلماء الذين ذهبوا صحبة الخليفة يعقوب المنصور الموحدي سنة 591 هـ الى الاندلس من اجل الجهاد.

(54) انظر « الذيل والتكملة » قسم الغرباء ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : 3194 وانظر معه كتاب « لباب العقول » ص : 9 وما بعدها .

وخارجه ، والتي يشهد له بها حتى خصومه الالـــداء الاقوياء ، في أسوء الظروف الحرجة التي نزلت به .

وتحل بساحة ابن القطان مصيبة أخرى من نوع آخر ، تتجلـــى في مضايقة العيش به ، وبأفراد أسرته الكثيرة العـــد ؛ لانه كان ذا عيـــال ، وتتمثل هذه المرة في الوزير ، ابي سعيد ابن جامع خصمه الكبير .

لقد بلغ من حقد هذا الوزير على ابن القطان ، ان نزع منـــه تلـــك الوظائف الكثيرة ، التي كان يشغلها من قبل .

يقول ابن عبد الملك المراكشي في « ذيله » (55) : « ولم يزل ابن جامع يحط من خطط أبي الحسن ابن القطان ، ويصرف فيها غيره ، حتـــى لم يبق بيده منها شيء الا القليل النزر العائدة » .

وتنتهي حياة ابن القطان بفراره الاخير الى سجلماسة ، صحبة أميره يحيى المعتصم بن محمد الناصر ، من قبضة ادريس المامون أخي العادل ، الذي حل بمراكش العاصمة سنة 627 هـ ـ 1229 م ، ظافرا منتصرا .

ولما فر يحيى المعتصم وشيعته ، ومنهم القاضي ابو الحسن علـــي ابن القطان ، الى سجلماسة انتهبت د ره واخذ كل ما فيها من متاع ومـــال وكتب ، التي تقدر بحمولة سبعة عشر جملا ، منها جملان بخطه .

لم يزل ابن القطان مع أميره يحيى المعتصم ، الى ان توفي متألمـــا مبطونا حسيرا على ما فقد من ذويه وبنيه وسائر ممتلكاته .

كانت وفاته رحمه الله سنة (628 هـ ـ 1230 م) ، ودفن قـــرب الجامع الاعظم بسجلماسة ، وقبره هناك معروف الى الآن (56) .

وهكذا ينتهي كل شيء ، وتخبو شعلة ابن القطان الوضـــاءة التـــي أضاءت ما حولها ، وانتهى أمر ابن القطان بموته ، الذي قام بدور كبير في

(55) الذيل والتكملة : قسم الغرباء ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، ترجمة ابن القطان.
(56) انظر الذيل والتكملة ، قسم الغرباء ترجمة ابن القطـان مخطـوط الخزانـة العامـة بالربـــاط ، تحـت رقـم : 3094 .

الميدانين : العلمي والسياسي ، والذي بهر بعلمه الغزير ، اصدقاءه واعداءه داخل المغرب وخارجـــه .

هذه هي نهاية ابن القطان المؤلمة ، العالم الموسوعي الكبير ، المحدث الناقد المغربي الشهير ، الذائع الصيت ، كنهاية كل انسان عظيم او وضيع، كيفماكان شأنه ، تنتهي الحياة بموته ، وينسى كل شيء عنه ، الا ما ترك هذا الانسان من علم بثه في صدور الرجال ، او خلد تآليف مفيـــدة نشرها في الناس ، ستبقى ما بقي الدهر ، وما بقي الدارسون والباحثون ، يقـــرأون ويطالعون ، او خلف ما ينفع الناس في حياتهم ، من مـــدارس ومساجـــد ومستشفيات ... سنة الله في خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديـــلا » .

وصاحبنا ابن القطان هذا ، لحد الساعة لم يدرس ، فهو ما زال من علماء المغرب المغمورين ، فهو يحتاج للدراسة والبحث ، وخصوصا كتابه « بيان الوهم والايهام » .

واملنا اكيد على رجال العلم بدراسة هذا الكتاب ، دراسة علميـــة منهجية واخراجه للوجود ، ليستفيد منه الخاص والعام . وهذا ما نرجوه في القريب العاجل ان شاء الله .

لكل شيء اذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيـــب العيش انسان

تطوان : عبد الهادي الحسيسن

من مراجع ابن القطـــان

— « بيان الوهم والايهام » ، مخطوط . بخزانة القرويين بفاس ، تحت رقـــم : 1068 . لمؤلفه : أبي الحسن علي ابن القطـــان .

— « الذيل والتكملة » ـ قسم الغرباء ـ مخطوط بالخزانـــة العامـــة بالرباط ، تحت رقم : 3194 . د . لمؤلفه : ابن عبد الملك المراكشي.

— « طبقات الفقهاء المالكيـــة » ، ص : 350 . ع : 456 . مصـــور بالخزانة الملكية بالرباط . لمؤلف مجهـــول .

— « التكملة لكتاب الصلة » ، ص : 686 . ع: 1920 . ط. مدريد ، سنة 1885 م . لمؤلفه : ابن الابار .

— « صلـــة الصلـــــة » ، ص : 131 . ع : 268 . لمؤلفـــــه : ابـــن الزبيـــر .

— « تذكرة الحفـــاظ » . ج : 4 ، ص : 1407 . لمؤلفه : الحافـــظ الـــذهبـــــي .

— « نظم الجمان » ـ المقدسة ـ لمؤلفه : ابن القطـــان ، تحقيـــق : د. محمـــود علـــي مكـــي . ط. تطـــوان .

— « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ، ط. 1 . مصر سنة 1351 هـ . لمؤلفـــه : أحمـــد بـــابـــا السودانـــي .

— « الرسالة المستطرفة » ، ص : 178 ، ط. الثانيـــة . دمشق . لمؤلفـــه : الشيخ محمد بن جعفر الكتاني .

— « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » ، ج : 10 ، ص : 9.

— « الفكر السامي في الفقه الاسلامي » ، ج : 4 ، ص : 65 ، ط. 1 . لمؤلفه : الفقيه محمد الحجوي الثعالبي .
مخطوط ، مصور بمكتبة التنسيق والتعريب بالرباط . لمؤلفه : الفقيه عباس ابن ابراهيم المراكشي .

— « الاعلام » . ج : 8 . ص : 152 . ط. بيروت . لمؤلفه : الاستاذ خير الدين الزركلي .

— « دليل المؤرخ » . ج : 1 . ص : 157 . ط. دار الكتاب. 1960 لمؤلفه : الفقيه عبد السلام بنسودة .

— « النبوغ المغربي » . ص : 149 . ططـ. 2 . لمؤلفل : الاستاذ عبد الله كنون .

— « رسالة معجم المحدثين والمفسرين » . ص : 7 و 13 . لمؤلفها : الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

— « مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي » . ج : 2 . ص : 93 . لمؤلفه : صاحب البحث ، عبد الهادي الحسيسن.

— « رسالة الجرح والتعديل في المدرسة المغربية » ص : 52 . لنيل الدبلوم . منها نسخة مرقونة بدار الحديث الحسنية بالرباط . لصاحبها : الاستاذ ابراهيم ابن الصديق .

— « علم العلل في المغرب من خلال كتابي بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام » . لابي الحسن أن القطان . رسالة لنيل الاطروحة . منها نسخة مرقونة بدار الحديث الحسنية ، لصاحبها كذلك ، الاستاذ ابراهيم ابن الصديق .